الأمانة العامة
العتبة الحسينية المقدسة

أبو طالب عليه السلام

سليل نبوة وهديُ قرآن

د. مكي كشكول

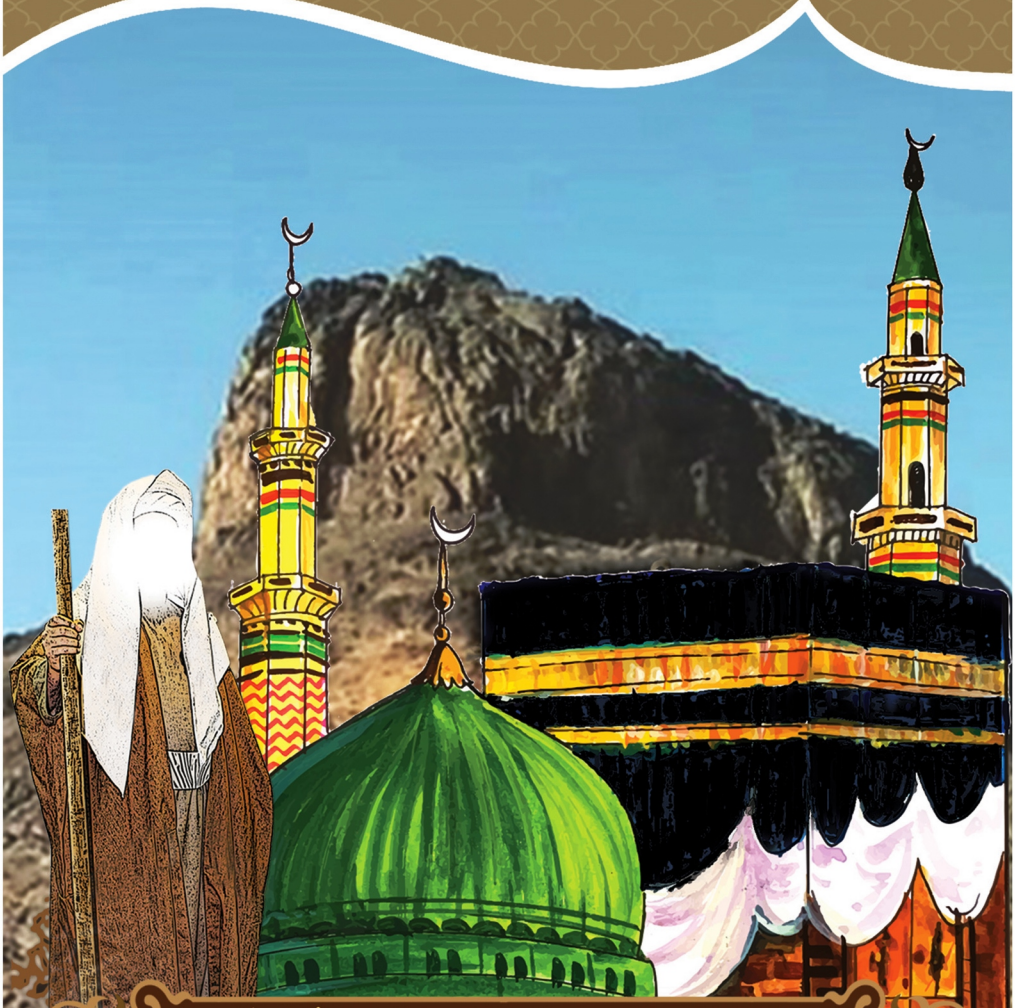

مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

مجلة الإمام الحسين لبحوث التراث الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

المحور الثاني: التاريخي والاجتماعي

أبو طالب عليه السلام سليل نبوة وهديُ قرآن

د. مكي كشكول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن القدوات الصالحة التي دخلت التأريخ من أوسع أبوابه، وتركت صفحات بيضاء ناصعة، لا تُنسى على مر الأيام والسنين، علينا أن نفتخر بهم ونتأسى فيما تفوقوا فيه، وننتفع من معارفهم وفعالهم، ونعمد إلى نقلها إلى الأجيال القادمة على أنها رموز ماضيها اللامع وحاضرها المتجدد. فلو قلبنا صفحات التأريخ الإسلامي لوجدناها حبلى بأسماء العديد من العلماء بشتى حقول العلم والمعرفة. ولكن وعلى العكس من جميع الأمم والحضارات والتي تدين بهذا التطور للحضارة الإسلامية، نجد أن الأمة الإسلامية تعيش حالة الجهل والتخلف. لأن المسلمين أخذوا ما في هذه العلوم من مواد تشجع على التفرقة والتشرذم، بسبب من عدم تشبثهم بالواقع التأريخي المبني على دلائل عقلية ونقلية، وتركوا مكانه للغيبيات والتجريدات وأفكار واهية لا تمت بصلة إلى الواقع الإسلامي. وقد أولد هذا بدوره العنصرية والطائفية والإحتقانات

المذهبية والأيديولوجيات المختلفة الطارئة على الساحة الإسلامية، والتي تسببت بأضرار كبيرة للأمة، وذلك لعدم الدقة في نقل الحقائق والوقائع التأريخية وتزييفها وتحريفها لتتلاءم وتتماشى مع ما يبتغيه الحكام آنذاك. مما أدى إلى تزوير الحقائق وخلق الأكاذيب ونشر وقائع لا تمت إلى الإسلام بصلة، فأدخلوا فيه ما أفسد كثيراً من الحقائق، وقلب كثيراً من الوقائع، وأقاموا تأريخاً يوافق أغراضهم، ويخدم مآربهم، ويحقق ما يصبون إليه. فقد حشيت كتب التأريخ بالعديد من الأحاديث والوقائع الزائفة، وروايات يشوبها التعارض والتناقض والكذب والتدليس، من أجل رفع شأن بعض الشخصيات التي كانت تجاهر بالعداء للرسول والرسالة، وكانت معولاً لتهديم أسس الإسلام، وسيفاً لوأد الدين الجديد وهو في مهده، فرفعوهم إلى عليين وأحاطوهم بهالةٍ من التعظيم والتقديس، وأسسوا لهم مجداً زائفاً وجعلوا منهم رموزاً يحتذى بها وأمثلةً جديرةً بالتقليد. فقد برر بعض من رجال الدين وشرعنوا فعالهم الدنيئة، والتي صبغت الإسلام المحمدي الناصع البياض شريعةً ومنهاجاً بصبغ داكن السواد، عبر إختلاق فتاوى وأحاديث نبوية، ولي عنق بعض النصوص، وتحريف الكلم عن مواضعه، فإفتعلوا في آياتٍ قرآنيةٍ وأقاويلٍ نأت عن الصدق، وبعدت عن الحقيقة، بما يخدم رفعة وعلو شأن هذه الشخصيات المقدسة، في نظرهم، فرفعت أسماء لا تستحق الذكر، وأُغفل عن أسماء كان لها الحظوة والمنزلة العظيمتان.

ومن الأسماء التي نالها من التشويه والإفتراء والظلم ما نالت أبا طالب عليه السلام؛ إذ زخرت معظم المصادر التأريخية بالكثير من الروايات الضعيفة أو المكذوبة أو

المدسوسة والمبنية على التعصب والهوى المذهبي، والتي تنال من هذا الصحابي الجليل؛ فكان لزاماً علينا الكتابة عنه، والذب عنه وفق المنهج الصحيح، وإيجاد ما يعارض ويناقض ويدحض إدعاءاتهم وإتهاماتهم الباطلة.

ولعل هذا البحث الفلسفي الفكري الذي يخاطب العقل ويستنطقه أكثر من مخاطبته العاطفة، ويعتمد على التفكير الموضوعي والدلائل والبراهين العقلية والنقلية والمنطقية أكثر منه على التعصب والهوى هو رد صاعق على ما دأبوا عليه من كيل الإتهامات لهذه الشخصية العظيمة، بالرغم من أن علماءنا ومفكرينا لم يألوا جهداً في الدفاع عن أبي طالب عليه السلام وإثبات أنه كان مؤمناً موحداً مات على الإيمان والإسلام، مرةً بالدليل والبرهان عن طريق إيراد الأحاديث النبوية وما قاله من شعرٍ ونثرٍ في حق الرسول والرسالة، ومرةً عن طريق تفنيد الأحاديث التي يرويها الطرف الآخر وتضعيفها، أو من خلال توجيهاتهم للأحاديث الباطلة التي رواها العلماء في حقه.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في محاولة كسر نافذة تأريخٍ إسلاميٍ ناله الكثير من التحريف والتزوير ليدخل من خلاله ضوء الحقيقة ويجلي عتمته وظلامه الدامس الذي خيم على عقول المسلمين منذ ما ينيف على الألف وأربعمائة عام، حتى تمكن منهم وغلب على عقولهم وقلب موازين حياتهم وغير مفاهيمهم ونال من مبادئهم وصار جزءاً لا يتجزأ من شخصيتهم وحياتهم اليومية التي

شابها الإنحراف عن الطريق القويم. لذلك لابد من تنقية الشوائب التي طالت التأريخ الإسلامي وتصحيح مساره وتشذيبه وتقويمه من أجل أن نأخذ من معينه الصافي، وليس هناك أفضل من أن تكون هذه النافذة هي نافذة أبي طالب عليه السلام الذي بدأت أولى لبنات بناء هذا الدين القويم من بيته ومن خلال مابذله من تضحيات جمة في سبيل إعلاء كلمة الحق ونصرة الإسلام. فلم يكن أبوطالب عليه السلام ذلك الصحابي المجهول بل كان له الدور والفضل الكبير في وجود الإسلام وديمومته، لأنه كان الراعي والحامي والكفيل لسيد الدعوة. إذن لابد من التعرف على موقفه من الدين الجديد، وكشف حقيقة إيمانه من عدمها كونه عاصر النبي صلى الله عليه وآله وكان قريباً له، فبهذا الحكم تُبنى أحكام شرعية.

أسئلة البحث

وقبل الشروع بالبحث لابد من الإجابة على بعض الأسئلة:

١-لماذا الإصرار على كفر أبي طالب عليه السلام مع وفرة الأدلة على إسلامه؟

٢-هل يمكن أن تصمد الأخبار المروية في شأن كفر أبي طالب عليه السلام أمام الإستدلال بالقرآن الكريم على إسلامه؟

٣-هل لوجود الرسول صلى الله عليه وآله في بيت أبي طالب عليه السلام وتأثيره عليه خلقاً وفعالاً وسيرةً وسلوكاً أثر في إثبات إسلامه؟

٤-هل للتعالقات النصية الدينية ولا سيما التعابير القرآنية من تعبيرٍ قرآنيٍ من لفظٍ ودلالةٍ وضمنها في ما نظمه من شعر دور في إثبات إسلامه؟

المبحث الأول

الفرع الأول: أبو طالب عليه السلام ... ومحاولات دس إيمانه في التراب

لابد من الإشارة إلى أن التأريخ الإسلامي لم يدون إلا في عهد الدولة الأموية، وفي عهد حكم معاوية على وجه التحديد[1]، ولعل في هذا اشارة إلى مدى التزوير واللغط الذي حصل فيه. فبسبب العداء والكراهية التي يكنها معاوية لعلي عليه السلام، فقد أغرق القوم نزعاً في الوقيعة على أبي طالب عليه السلام المسلم الأول بعد ولده علي. فقد وضعوا العديد من الأحاديث المفتعلة والمكذوبة وخلق التبريرات غير المنطقية وإعتماد الروايات الموضوعة في حق معاوية، لتنزيهه عما إرتكبه من جرائم بحق الإسلام والمسلمين، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ونسبة كل عظيمة وفضيلة إليه، حتى أنك لا تكاد تجد فضيلة ثبتت لعلي عليه السلام بسند صحيح عند مختلف الفرق الإسلامية، إلا ولها نظير في مخالفيه ومناوئيه، ولكنها، في الأغلب، جاءت بأسانيد ضعيفة، حتى عند واضعيها، من أجل السمو بمكانة معاوية والحط من مكانة علي عليه السلام. وهذا إن دل على شيء

---

(١) شاكر مصطفى، التأريخ العربي والمؤرخون ١: ٥١ ـ ٥٢.

فإنما يدل على أن معظم الروايات، إن لم يكن جميعها والتي تذهب إلى موت أبي طالب عليه السلام على الكفر ما هي إلا رواياتٍ سياسيةٍ وضعت في عهد معاوية وفي ظل ظروف الصراع السياسي والعسكري بينه وبين علي عليه السلام.

وقد إستثمر العباسيون الأرضية والجهود التي أعدها وأسس لها الأمويون في إلصاق هذه الفرية ضد أبي طالب عليه السلام ليوحوا إلى الناس أن العباسيين هم بنو العم الذي أسلم، بينما الطالبيون هم بنو العم الذي لم يسلم، من أجل تزكية أنفسهم وترجيح موقفهم على خصومهم أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً بعد أن خرج العديد من أهل البيت ضد العباسيين[1]. وكذلك من أجل أن يوحوا للشيعة الذين يعتقدون بأحقية علي والأئمة عليهم السلام من بعده في ولاية أمر الأمة دون غيرهم، عدم أحقيتهم لهذا الأمر، لذلك كانت المصلحة في تأكيد هذه الكذبة.

وقد ظهرت هذه الأفائك الظالمة في حق أبي طالب عليه السلام بعد عشرات السنين من وفاة النبي صلى الله عليه وآله، الذي كان المدافع الأول عن أبي طالب عليه السلام، كما يظهر من كثير من المواقف، حفظتها لنا كتب التأريخ والحديث، رغم ما بذله الحاقدون من جهود لطمسها، وطمس سواها من الحقائق والبراهين. فلم يتجرأ معاوية وحزبه على إتهام أبي طالب عليه السلام بالكفر حتى في حياة علي، مع أنه "كان يذمهم، ويزري عليهم بكفر الآباء والأمهات، ورذالة النسب"[2]. فقد كتب علي عليه السلام يوماً رسالةً لمعاوية جاء فيها:

---

(١) طالب الرفاعي، عقيدة أبي طالب عليه السلام: ٥٠.

(٢) عبد الله الخنيزي، أبو طالب عليه السلام مؤمن قريش: ٢٧٢- ٢٧٣.

"ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب عليه السلام، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق"[١]. قال إبن الجوزي: "ولم يؤرخ أحدٌ من أعدائه إستياء ولده بأن أباك من الكفار، هذا معاوية أعدى أعدائه ومنازعيه، وهذا عمرو بن العاص، وهذا عبدالله بن الزبير، وهذا مروان بن الحكم وغيرهم ـ مع قدحهم فيه، وإسنادهم ورميهم إليه ما هو بريء منه ـ وما عابوه وما شنعوا عليه بذلك ـ وهو يذكرهم بكفر الآباء والأمهات ورذالة النسب، وما قابلوه بالمثل، بل هو أقوى شاهد على إسلامه، وعلى شدة تعصب من أُسند الكفر إليه"[٢]. ففي حال موت أبي طالب عليه السلام على الكفر، وأبو سفيان مسلماً فكيف يفضل علي، الكافر على المسلم ثم لايرد عليه معاوية.

وكذلك لم يكن القول بعدم إيمان أبي طالب عليه السلام موجوداً في زمن أبي بكر وعمر وعثمان، وإنما وجد بعد ذلك، خصوصاً بعد إستشهاد علي عليه السلام، ليس خوفاً منه، ولكن لوجود بعض الصحابة الذين لم يتمكن معاوية من شراء ذممهم في عهد خلافة علي عليه السلام، والذين كانوا، بما لايقبل الشك، سيدافعون عن صحابي جليل وسيستشهدون بطبيعة الحال، بالعشرات من الأحاديث التي تثبت إيمانه وسيردون كيد معاوية ومن تبعه من الصحابة من الذين إشترى ذممهم وباعوا دينهم من أجل حفنة من المال، وعندها ستسقط نظرية تكفير أبي طالب عليه السلام.

---

(١) الدينوري، الإمامة والسياسة ١: ١١٨.

(٢) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ١١.

ولكن وبعد إستشهاد علي عليه السلام ومحاربة معاوية لأهل الكوفة ومن بقي على عهده موالياً لعلي، من خلال منعهم من العطاء، فقد تمكن معاوية من شراء ذمم بعضهم، ومن لم يتمكن من شراء ذمته، إشترى سكوته عن طريق التهديد والوعيد، وهذه سياسة معاوية.

فبعد إستشهاد علي عليه السلام أنشأ معاوية العديد من الأجهزة الدعائية وجند العديد من وعاظ السلاطين الذين إبتكروا الأساليب التي ترضي معاوية وتحقق له الثأر من خصومه، عن طريق تلفيق الأحاديث والروايات. قال إبن أبي الحديد: "إن معاوية وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبارٍ قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فإختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير"[1]. فقد حفلت مجاميعهم الحديثية والتأريخية بألوانٍ من التزوير، وأفانين من الكذب والبهتان والأفائك، فنسبوا إلى أبي طالب عليه السلام الكفر، ولو كان ثمة شيءٍ أعظم من الكفر لنسبوه إليه، كيداً منهم لعلي، فظهرت منهم أنواع من الإفتراءات عليه وعلى أخيه جعفر. وقد بلغ من تدليسهم أنه عندما إستشهد علي عليه السلام تعجب أهل الشام من قتله في محراب الصلاة، لأن معاوية وأزلامه كانوا قد أقنعوهم بأن علياً لايصلي.

وعلى الرغم من كل هذه المحاولات، برزت للوجود العديد من الشواهد

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٣٥٨ : ١.

الواضحة التي تثبت إيمان أبي طالب عليه السلام وأنه مات على الإسلام، في مقابل عدم قدرة الطرف المقابل على أن يثبت أنه مات كافراً ولم يؤمن برسالة إبن اخيه. إذ إعتمد هؤلاء على روايةٍ وحيدةٍ ولكن بصيغٍ مختلفةٍ، لا يمكنها الصمود أمام التحقيق العلمي والتثبت الصحيح، وهي عمدة ما إستندوا إليه في عدم التسليم بإيمانه، وهي رواية عن النبي صلى الله عليه وآله، كما يدعون، حيث قال إبن كثير إنه "لما إشتكى أبو طالب عليه السلام وبلغ قريشاً ثقله قالت قريش إنطلقوا بنا إلى أبي طالب عليه السلام فليأخذ لنا على إبن أخيه وليعطه منا، فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا. فقالوا: يا أبا طالب عليه السلام إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين إبن أخيك، فإدعه فخذ لنا منه، وخذ له منا ليكف عنا ولنكف عنه، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه. فقال أبو طالب عليه السلام يا إبن أخي: هؤلاء أشراف قومك قد إجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم. فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات. قال: تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه. فصفقوا بأيديهم ثم قالوا يا محمد: أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟! إن أمرك لعجب. قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فإنطلقوا وإمضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرقوا. فقال أبو طالب عليه السلام: والله يا إبن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً. قال: فطمع رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فجعل يقول له: أي عم فأنت قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة. فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وآله

قال: يا إبن أخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها. قال: فلما تقارب من أبي طالب عليه السلام الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بإذنه، قال فقال: يا إبن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم أسمع. قال: وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط: ﴿**ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ**﴾ (ص: ١-٢)"[1].

وقد جاءت هذه الرواية بصيغةٍ مختلفةٍ بعض الشيء في صحيح مسلم عن أبي هريرة: قال: "قال رسول الله لعمه أبي طالب عليه السلام: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيرنى قريش. يقولون: إنما حمله على ذلك. لأقررت بها عينك. فأنزل الله تعالى ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾(القصص: ٥٦)"[2].

ولم يلتفت الرواة إلى أنه هنالك فاصلاً زمنياً في هذه الرواية، الأول فى وقت النزاع بين النبي صلى الله عليه وآله وكفار قريش وفى حضور أبي طالب عليه السلام وزعامته، والثاني حين كان أبو طالب عليه السلام على فراش الموت. ومع وجود الفاصل الزمني إلا أن الراوي الكاذب يزعم أن أبا طالب عليه السلام رفض فى القسم الأول ان يشهد بالإسلام. بالرغم من أنه فى وقتها كان فى كامل صحته ولم يكن يحتضر. ولا

(١) إبن كثير، البداية والنهاية ٣٠٦-٣٠٨.

(٢) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم.

أعرف كيف يحسب أبو طالب عليه السلام لقريش حساباً خشية أن تقول عنه أنه إنما آمن بالله ونطق الشهادتين جزعاً من الموت وهو يحتضر! وأعتقد أنه لا رابط فيما بين الجزع من الموت ونطق الشهادتين. ولعل من المنطق أن يحسب لما ستقوله قريش شخصاً آخر يعبد ما توارثته قريش مثل العباس أو أبي لهب، وليس أبو طالب عليه السلام الذى وقف صامداً ضد قريش مؤيداً لإبن أخيه وهو يهدم بالحجة والمنطق تراث قريش وأحلامها. والأمر الآخر، هو علة إمتناع أبي طالب عليه السلام عن نطق الشهادتين، وذلك بسبب ما سيلحقه وبنيه من عار من بعده. والسؤال الذي يطرح نفسه، هو كيف يشعر أبناء أبي طالب عليه السلام بالعار لأن أباهم آمن بما نزل على محمد صلى الله عليه وآله ونطق بالشهادتين عند موته، وهم بالأساس مسلمون وقد وقفوا وأبيهم مع إبن عمهم مدافعين بأنفسهم عنه وعن دينه.

وأنا هنا لست بصدد تحليل هاتين الروايتين المكذوبتين والمصطنعتين، والتوسع فى نقد إسنادهما واللتين أوردتا من دون التحقق من صحتهما وقوة أسانيدهما، وخصوصاً لرواية أبي هريرة لأحدهما، والذي كان مشركاً وقت موت أبي طالب عليه السلام، وأسلم بعد موقعة خيبر التي كانت فى سنة سبع من الهجرة، وهذا يعني أن هناك فارقاً زمنياً قدره عشر سنوات بين موت أبي طالب عليه السلام وإسلام أبي هريرة.

ويبدو أن من قال بكفره لم يستطع إنكار مواقفه العملية، بل إن نفس القائلين بكفره لما لم يتمكنوا من إثبات كفره، ولا الطعن بتصريحاته اللسانية حاولوا أن يخدعوا العامة بكلام مبهم، لا معنى له؛ فقالوا: "إنه لم يكن

منقاداً"[١]. وحديث العباس بن عبد المطلب، عندما قال للنبي صلى الله عليه وآله: "ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"[٢].

ولعل إصرار أهل السنة على كفر أبي طالب عليه السلام رغم الأدلة التي لاتعد ولاتحصى هو من أجل نسف أصل من أصول الشيعة الإمامية، ألا وهو الإمامة، ذلك أن من شروط الإمامة طهارة المولد، كما هو حال النبوة. فالإمامة عند الشيعة الإمامية هي "ولاية إلهية ينصب لها الله من يشاء من عباده.. وضرورة وجود شخصية لائقة عالمة بالعلم الإلهي، معصومة عن المعاصي والآثام"[٣]، وضرورة ".. طهارة باطنه وعصمته. ونزاهة قلبه في جميع أدوار حياته"[٤]. ومن دون شك، فإن في إثبات إيمان أبي طالب عليه السلام منفعة للدين، ونصراً للحق والعدل الإلهي، ومعرفة منزلته عند الله. وقد بذل علماء السنة جهوداً حثيثةً لإثبات كفر والد إبراهيم، متذرعين ببعض الآيات القرآنية التي تذهب لكفره، رغم محاولات علماء الشيعة وبعض من المعتدلين والمنصفين من أهل السنة، إثبات أن المقصود هو عمه وليس أباه، لا لشيء إلا من أجل أن يوحوا إلى الشيعة

---

(١) دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية ١: ٤٤-٤٧.

(٢) صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب عليه السلام ٤ :٢٤٧.

(٣) اللاري، اصول العقائد في الاسلام ٤ : ١٥.

(٤) المصدر نفسه ٤ : ١٦٧.

بأن ما يذهبون إليه بأن من شروط النبوة والإمامة طهارة النسب، و"أن آباء رسول الله صلى الله عليه وآله من لدن آدم إلى عبد الله مؤمنون بالله عز وجل موحدون"[١]، هو محض إفتراء وباطل، بدليل عصمة رسولي الله إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وآله وغيرهم من الأنبياء والرسل رغم كفر آبائهم، لأن أهل السنة يعتقدون أن طهارة النسب ليس شرطا على عصمة الرسول والنبي.

وهذا التناقض الجلي فى السيرة فيما يخص أبا طالب عليه السلام، ومحاولة التأريخ طمس معالم إيمانه، ومحاولات مسك عطر ذكراه وحسن سيرته، سيظهره القرآن الكريم، لذلك سأحاول ربط بعض المعطيات القرآنية من قصصٍ وأحداثٍ بحياة أبي طالب عليه السلام وفعاله ومزاياه.

(١) الشيخ المفيد، أوائل المقالات: ٤٥.

المبحث الثاني

الفرع الأول: أبو طالب عليه السلام ... سليل الرسل والأنبياء

وفي هذا المبحث سنحاول توظيف ما ورد في القرآن الكريم من حقائق قاطعةٍ وآياتٍ نزلت في رسلٍ وأنبياءٍ سابقين تحاكي وتنطبق على ما هي عليه حياة أبي طالب عليه السلام، والتي تثبت بما لا يدعو للشك أنه مات على الإيمان، وإثبات عدم وجود هكذا أحاديث، ذلك أن كتاب الله هو الرقيب والمهيمن على غيره من الكتب، وهو الحجة القاطعة في نفي التأويلات وإبطال الإفتراءات. فالحقيقة القرآنية لا تبطل مع الزمن، وتعطي كل جزئية من الأمر حكمها، فهو ليس كلاماً مجملاً، بل يجري تفصيل كل حكم بما يناسب أي أمر من أمور البشر.

واذا أراد الله أن يحق حقيقة قرنها بآياتٍ من كتابه العزيز تسهم في كشف الحق، وبيان ما ووري من حقائق عن رجال مؤمنين. فقد تكفل الله بنصر المؤمنين والدفاع عنهم، من خلال إظهار الحق، وإبراز مظلوميتهم ولو بعد حين. لذلك ومن أجل إثبات إيمان أبي طالب عليه السلام، فقد آثرت الإستدلال بجملةٍ من قصص الرسل والأنبياء، ومحاولة إيجاد بعض القواسم المشتركة وأوجه الشبه

وتماثل بعض المواقف ما بينهم وما بينه.

تعد الأمثال القرآنية من أهم وسائل الإقناعِ وأساليبه وإيصال المعلومة الدقيقة والصحيحة، ذلك أنها تقدم الفهم والإدراك السليم للمعتقدات بموضوعيةٍ وبطريقةٍ يسيرةٍ ومقنعةٍ. فمن أهم الأغراض التربوية للأمثال القرآنية هي ضرب المثل لتقريب المعنى للمخاطب ومحاولة إقناعه وإبراز النموذجِ للإعتبار وتقريب المعنى، وإحضاره بصورة المثال الذي مثل به، والذي قد يكون هو الأقرب إلى فهمه من خلال إستحضارِ نظيره. وقد يزداد المعنى وضوحاً وجلاءاً اذا ما وجد له نظيراً من الأمثال، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فإعملوا بالحلال وإجتنبوا الحرام وإتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه وإعتبروا بالأمثال"[1].

ولابد من الإلتفات إلى نقطةٍ مهمةٍ، ذلك أن الله جل وعلا يضرب المثل الطيب بالعمل الطيب والمثل الخبيث بالعمل الخبيث، ولم يضرب مثلاً طيباً بعملٍ خبيثٍ أو العكس. كما في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾[2]. حيث يشبه الله

(١) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الإيمان، باب الاعتصام بالكتاب والسنة ١: ٢٦٧.

(٢) القرآن الكريم، سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦.

الإيمان، بالنخلة في المنبت، وشبه إرتفاع عمله في السماء بإرتفاع فروع النخلة، وثواب الله له بالثمر، بينما يشبه الله الكفر بشجرة إقتلعت من أصلها، ليس لها أصل يشرب بعروقه من الأرض، فكذلك الكافر لا حجة له ولا ثبات ولا خير فيه، وما يصعد له قول طيب ولا عمل صالح[١]. ولهذا أكد الباري على أهمية تدبر هذه الأمثال القرآنية، لأن في قصص القرآن خبر صدق مطابق للواقع وما هي بقصص مخترعة أو ملفقة. وهي تخبر عن أمور قد وقعت، ولربما سترتب آثارها على بعض الوقائع التي شابها الإفتراء والزور والبهتان لتأكيد حجيتها وصدقها، لأن حصولها ممكن، وذلك بخلاف القصص الموضوعة بالخيال فإنها لا يحصل بها إعتبار لإستبعاد السامع وقوعها[٢].

وبسببٍ من كون أبي طالب عليه السلام ولي من أولياء الله، ومن الذين أخلصوا لله العبادة، فقد آتاه الله الحكمة والكرامات، وسيتكفل الله بإظهار كراماته ومآثره في قوادم السنين. ومن وسائل إثبات صدق إيمانه هو كشف ما خفي من حقائق على الآخرين من خلال إيجاد قواسم مشتركة وأوجه شبه بينه وبين بعضٍ من الرسل والأنبياء.

وأول أوجه التشابه بين أبي طالب عليه السلام وبعضٍ من الرسل والأنبياء، هو أنه كان لعبد المطلب عشرة أولاد، وكان أبو طالب عليه السلام وعبد الله من أم واحدة هي فاطمة بنت عمرو. وبذلك، فإن مثل عبد المطلب، في ولديه، عبد الله وأبي

(١) القرطبي، تفسير القرطبي: ٢٥٨.

(٢) إبن عاشور، التحرير والتنوير ١٤: ٧١-٧٢.

طالب عليه السلام، عند الله، كمثل النبي يعقوب، في ولديه يوسف وبنيامين. فقد شاء الله أن يكون هذان الوليدان من نفس الأم (راحيل)[١]، وأن يكون باقي أولاده من الأب والأم نفسها. وكانا مختلفان، بأن وهبهم الله النبوة، كما هو الحال في ولدي عبد المطلب، اللذين شاء الله أن يكون خاتم النبيين من صلب عبد الله ووصيه من صلب أبي طالب عليه السلام. ولعل الفارق الوحيد بين أبي طالب عليه السلام ويعقوب، هو أن الحسد الذي دب إلى نفوس أولاد يعقوب جراء تفضيله يوسف، لم نجده في بيت أبي طالب عليه السلام. فمع تفضيل أبي طالب عليه السلام إبن أخيه على أبنائه، لم نجد لهذا الداء موقعاً في نفوس أبنائه. وكذلك يمكن القول بأن الله قد وهب لعبد المطلب على الكبر عبد الله وأبا طالب عليه السلام، شأنه شأن جده إبراهيم الذي وهب له الله على الكبر إسماعيل وإسحق.

وكذلك فإن مثل إختيار أبي طالب عليه السلام لكفالة النبي عند الله، كمثل إختيار الله النبي زكريا لكفالة مريم. فبعد أن وضعت أم مريم إبنتها أتت بها إلى المعبد وطلبت من علماء بني إسرائيل وأشرافهم أن يتعهد أحدهم بتربيتها. وأخذوا يتنافسون في الفوز بتعهد تربيتها. وأخيراً إتفقوا على إجراء القرعة بينهم، فجاؤوا إلى شاطيء النهر وأحضروا معهم أقلامهم وعصيهم التي كانوا يقترعون بها، والذي يحمل كل واحد منهم إسمه، وألقوها في الماء، فكل من غطس قلمه في الماء خسر، ومن طفا قلمه ربح، فطفا القلم الذي كتب عليه إسم زكريا، وبذلك أصبحت مريم في كفالته[٢]. والسبب وراء إختيار الله زكريا لكي

(١) الجزائري، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: ٢٥٩.

(٢) مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢ : ٤٩٧.

يتكفل مريم، هو أن البيت الذي ستنشأ فيه مريم هو بيت طهر وإيمان وليس بيت شرك وكفر، حيث ستكون الرحم الذي سيحمل نبي الله عيسى، وبذلك تكون هناك حالة إطمئنان للسماء على الرسالة السماوية التي سيكلف الله بها إبنها عيسى مستقبلاً. وكذلك الحال مع إختيار أبي طالب عليه السلام لكفالة النبي صلى الله عليه وآله، حيث يذهب الحلبي، إلى أنه إقترع أبو طالب عليه السلام والزبير شقيقه فيمن يكفله منهما، فخرجت القرعة لأبي طالب عليه السلام[1]. وفي روايةٍ أخرى أنه "لما ظهرت إمارة وفاة عبد المطلب قال لأولاده: من يكفل محمداً؟ قالوا: هو أكيس منا فقل له يختار لنفسه، فقال عبد المطلب: يا محمد جدك على جناح السفر إلى القيامة، أي عمومتك وعماتك تريد أن يكفلك؟ فنظر في وجوههم وزحف إلى عند أبي طالب عليه السلام "[2]. عندها قال عبد المطلب: "أنظر يا أبا طالب عليه السلام أن تكون حافظاً لهذا الوحيد، فأني تركت بني كلهم وخصصتك به، لأنك من أم أبيه، فإن إستطعت أن تتبعه فإفعل، وإنصره بلسانك ويدك ومالك، فأن لهذا الغلام لشأناً عظيماً"[3]. وهذا يدل على أن الله قذف في قلب النبي أن يختار أبا طالب عليه السلام الذي "كان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده، وصب به أبو طالب عليه السلام صبابة لم يصب مثلها بشيء قط"[4]. وقد بلغ من شدة صبابته في النبي صلى الله عليه وآله أن آثره على أولاده، حينما قال:

---

(١) الحلبي، السيرة الحلبية، باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب عليه السلام له ١: ١٦٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الأميني، فاطمة بنت أسد: ١٨.

(٤) إبن سعد، الطبقات الكبرى ١: ١١٩.

إن الأمـــين محمـــداً في قومـــه عنـدي يفـوق منـازل الأولاد[1].

هذه الرعاية والتربية من لدن أبي طالب عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله، كمثل تربية ورعاية أم موسى لوليدها، الذي ألقته في نهر النيل، ثم حباها الله بأن أرجعه اليها ليتربى في حجرها الطاهر. فقد أرجع الله نبيه لحجر عمه أبي طالب عليه السلام، الطاهر بعد أن كادت تتقاذفه أيدي أعمامه المشركين، بعد دنو أجل كفيله، عبد المطلب، وصعوبة إيجاد الكفيل الذي يتعهد به ويرعاه. فقد شاء الله أن يكون بيت أبي طالب عليه السلام هو المكان الملائم لرعاية النبي صلى الله عليه وآله، وسيكون في علم الله المكان الذي سينشأ فيه وصي خاتم الأنبياء ولتكون تنشئته وتربيته تحت أنظار النبي صلى الله عليه وآله وعلى يديه. وما أنعم الله به على أبي طالب عليه السلام من فضيلة لم ينعم الله بها من قبل ولا من بعد لأحدٍ منذ خلق آدم حتى قيام الساعة، فقد شاء الله أن يكون أبو طالب عليه السلام كافلاً وراعياً ومربياً لنبي ووصي نبي، فهل يمكن أن تكون هذه الكرامة والفضيلة لكافر!!

(١) إبن عساكر، تاريخ دمشق ١: ٢٦٩ ـ ٢٧٢.

المبحث الثالث:

الفرع الأول: ﴿الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾[1]

لقد وجد النبي صلى الله عليه وآله في عمه أبي طالب عليه السلام وزوجه الملجأ الآمن والحضن الطاهر. وخير دليل على ذلك، هو أن الله لم يذكر رحمته على إبراهيم وكفالة عمه آزر ورعايته له، بسببٍ من كفر عمه وإلحاده. وكذلك لم يذكر الله رحمته وفضله على موسى، الذي كفلته ورعته مؤمنة آل فرعون، آسيا بنت مزاحم، بل ذكر فضل فرعون عليه عندما ذكَّر فرعون موسى بمنه عليه بالقول ﴿... **أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**﴾[2]، بل وفضل الله أبا طالب عليه السلام على آسيا، عندما أخبر الله نبيه بالمن عليه بأن آواه في بيت عمه أبي طالب عليه السلام ولم يقل له أني مننت عليك بأن رباك عمك ورعاك في بيته، كما هو حال موسى. وذلك لأن كلمة آوى هي أفضل من كلمة ربى، حيث أخبر رسوله بالقول ﴿**أَلَمْ يَجِدك**

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنفال: ٧٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة الشعراء: ١٨.

يَتِيماً فَآوَى﴾[١].

حتى قال الرسول في حقه "وأنا وكافل اليتيم في الجنة، هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا"[٢]. حيث قطب رحى الحديث يدور حول عمه أبي طالب عليه السلام. فلم يقصد النبي صلى الله عليه وآله بحديثه الشريف كل من يكفل يتيما، بل يشمل أبا طالب عليه السلام فقط، حتى إشتهر محمد صلى الله عليه وآله بين قريش وعرف بـ "يتيم أبي طالب عليه السلام "[٣]. فقد روي عن الأئمة الراشدين عليهم السلام أنهم سألوا عن قول النبي صلى الله عليه وآله المتفق على روايته المجمع على صحته: "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة"، فقالوا عليهم السلام: أراد بكافل اليتيم عمه أبا طالب عليه السلام "[٤]. ولم تقف مهمته عند حد رعاية النبي بل عزره ونابذ قريشاً ووقف بوجهها وعاداها بسببه مدافعاً معرضاً نفسه وأهله إلى القتل والعزل، ﴿...**الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٥].

وبذلك يمكن القول بأن مثل ملجأ أبي طالب عليه السلام عند الله كمثل ملجأ موسى من بطش فرعون الذي أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل خوفاً على ذهاب عرشه على يد أحدهم. فلما وضعت أم موسى وليدها خافت عليه، عندها ألهم

---

(١) القرآن الكريم، سورة الضحى: ٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان ٦: ١٧٨، رقم الحديث ٤٩٩٨.

(٣) الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب ٧ : ٣٨٨.

(٤) الحجة بن معد الموسوي، الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب عليه السلام: ١٤٢-١٤٣.

(٥) القرآن الكريم، سورة الأعراف: ١٥٧.

الله في سرها أن تتخذ تابوتاً وتضع وليدها فيه وتسيره في البحر، ليمر به على دار فرعون، لتلتقطه الجواري، فيذهبن به إلى إمرأة فرعون، وليوقع الله محبته في قلبها وبذلك دخل بيت فرعون ليكون تحت رعاية إمرأة صالحة لتهيأ له البيئة الصالحة ليضحى بعدها رسولاً[1].

ومثل ملجأ أبي طالب عليه السلام عند الله كمثل ملجأ النبي شعيب، عندما هرب نبي الله موسى من مصر، إلى أرض فلسطين، فقيّض الله شعيباً أن يرسل وراء موسى ليضيفه، ويعيش في بيت ملؤه الطهارة ويزوجه إبنته، فذلك يضمن له ومأوى وعشيراً صالحاً ويوفر له الحماية والبيئة الصالحة ليعود موسى إلى مصر ويبلغ رسالة ربه[2].

وكذلك، فإن مثل ملجأ أبي طالب عليه السلام عند الله كمثل موقف النبي يوسف الذي عزم إخوته على قتله فأراد الله أن يحفظه من كيدهم، وليرموه في البئر ويلتقطه سيارة ويتربى ويترعرع في بيت عزيز مصر ليوفر له الحماية اللازمة ليبلغ ما أرسله الله من أجله. وبعد أن شاب هذا المكان ريبة وشك، بعد أن راودته زوجة العزيز، شاء الله أن ينقله إلى بيئة أطهر، وإختار له السجن ليكون ذلك المكان الذي يمكن ليوسف من أن يؤدي دوره الرسالي وليكون سبباً في معرفة أهل مصر ببرائته من مراودة إمرأة العزيز وبنبوته وإعتراف إمرأة العزيز ببرائته

---

(١) مكارم الشيرازي، قصص القرآن ١٩٢.

(٢) تفسير الطبري، مصدر سابق: ٣٨٨.

مما نسبته إليه من تهم[١].

ولو قيل أنه لو سلمنا بطهارة بيت أبي طالب عليه السلام، فيمكن أن تكون طهارة بيته نابعة من طهارة زوجه فاطمة بنت أسد، والتي أسلمت بعد عشرة من المسلمين فكانت الحادية عشرة[٢]، كما في طهارة بيت فرعون حيث نشأ موسى فيه، مع كفر فرعون، فالطهارة يمكن أن تكون بسبب إيمان زوجة فرعون التي تولته بالرعاية. ونقول إن مهمة الحفاظ على النبي ورعايته تقع على عاتق من يوفر له الحماية وليس على الراعي فقط ومن وفر لموسى الحماية هي زوجة فرعون وليس فرعون، وكذلك فمن وفر للنبي صلى الله عليه وآله الحماية هو أبو طالب عليه السلام وليس زوجته، كما هو حال إبراهيم فمن تولى حمايته والدفاع عنه هو أمه المؤمنة وليس عمه.

وهنا يظهر لنا معنى لطيف، فلو قرنا الآية ﴿**ألم يجدك يتيما فآوى**﴾ وآية ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٣] لوجدنا هناك ترابطاً بينهما، ذلك أن الله خاطب رسوله بأنه على خلق عظيم وهذا الخلق إنما جاء من أثر البيئة الطاهرة. فلو كان أبو طالب عليه السلام مشركاً، هل كان لخلق النبي العظيم هذا من أثر، فقد إمتدح الله رسوله بما لم يمتدح به رسولاً او نبياً من قبل، حينما قال في محكم كتابه ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾.

---

(١) مكارم الشيرازي، مصدر سابق: ١٣٤-١٤٤.

(٢) القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ : ١٨٩.

(٣) القرآن الكريم، سورة القلم: ٤.

فلو فرضنا جدلاً بأن الرسول معصوم من الخطأ والزلل، وأن هذا الخلق إنما هو جراء رعاية الله له والحيلولة في عدم إيقاعه في المعصية، نقول إذاً لا يوجد فضل للنبي علينا ليدخل عليين. ونقول بأن عصمة النبي هي عصمة الروح من أن تزل أو تخطيء، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إنمَا أنا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ..﴾[1]، والمثلية هنا ليست مثلية الهيئة، بل تتعداها لتشمل العقل والغرائز والأحاسيس. فكما نحن لدينا القابلية على إرتكاب المعصية والخطأ أو ألا نقترف المعصية والخطأ، كذلك النبي، فكما لديه القابلية على إرتكاب المعصية، فله القدرة على أن يعصم نفسه من الخطأ والزلل.

وإذا إحتج أحدهم بقول النبي صلى الله عليه وآله "أدبني ربي فأحسن تأديبي"[2]، فهذا يعني أن تربيته سماوية، لذلك لايمكن له أن يرتكب المعصية. نقول أن قصد الرسول هو أن الله عرفني وعلمني بما هو الصحيح وما هو الخطأ وما هو الحق وما هو الباطل وما هو الحلال وما هو الحرام، فأجهدت نفسي وبذلت الجهد على إتباع الصحيح والحق والحلال من إرتكاب المعاصي.

فقد إعترف رسول الله صلى الله عليه وآله بحسن رعاية أبي طالب عليه السلام له. فعندما " قبض أبو طالب عليه السلام، أتى علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله، فأذنه بموته، فتوجع لذلك النبي صلى الله عليه وآله وقال: إمض يا علي فتول غسله وتكفينه وتحنيطه، فإذا رفعته على سريره

(١) القرآن الكريم، سورة الكهف: ١١٠.

(٢) إبن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣ : ٣٩٩.

فأعلمني. ففعل ذلك علي عليه السلام، فلما رفعه على السرير إعترضه النبي صلى الله عليه وآله فرق له وقال: وصلت رحماً، وجزيت خيراً؛ فقد ربيت وكفلت صغيراً، وآزرت ونصرت كبيراً"[١].

نستنتج مما سبق، بأن كفالة أبي طالب عليه السلام وحمايته ودفاعه المستميت عن النبي محمد صلى الله عليه وآله حتى لو أدى هذا إلى مقتله وخسارة كل ما يملك، ووقوفه خلف النبي محمد صلى الله عليه وآله في السراء والضراء وعدم تركه مهما حصل، لم يكن بدافع العصبية القبلية، بل بدافع الإيمان.

الفرع الثاني: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾[٢]

لو أخضعنا كلمة "آوى" في هذه الآية إلى مبضع التشريح القرآني لوجدنا أنها ترد في مواقع الرحمة والمكان، وبقصد إيواء الشخص إلى مكان طاهر وأمين، كما هو الحال في قصة يوسف وأخاه بنيامين ﴿**وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُف آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ..**﴾[٣]. فعندما دخل إخوة يوسف عليه ودخل معهم بنيامين، فعرفه يوسف، وضمه إلى مجلسه، وأنزله معه[٤].

وكذلك في آية ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللهَ فَأْوُوا إِلى الْكَهْفِ**

---

(١) الشيخ المفيد، إيمان أبي طالب عليه السلام: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) القرآن الكريم، سورة الضحى: ٦.

(٣) القرآن الكريم، سورة يوسف: ٩٩.

(٤) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ٤ : ٢٦٠.

يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾[١]، ذلك أن الفتية حين فارقوا قومهم بدينهم، بسط الله لهم من رحمته ما يسترهم به، حيث علوا جبلاً فإنحط به على كهف بفناءه عيون وأشجار مثمرة[٢].

الفرع الثالث: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[٣]

لقد ربط القرآن الكريم بين العبادات والمعاملات ربطاً جدلياً، حيث لا يثبت ولا يصح إسلام المرء إلا بالممارسة الفعلية حيث يتطابق الإدعاء بالقول مع الفعل. فالإسلام هو التصديق بالجنان، والإعتراف باللسان، والعمل بالأركان، ويبدو أنها إجتمعت في أبي طالب عليه السلام. فأما التصديق بالجنان فقد صرح به، وأما الإعتراف باللسان فقد إعترف به بتعبيرات مختلفة في موارد عديدة، من أشعاره وأقواله. فقد كتم إيمانه لعذرٍ، لا لعنادٍ. ذلك أنه إن أظهر إسلامه أن يُقتل أو يُؤذى، أو يُؤذى أحداً من متعلقيه، عندها يجوز له إخفاء الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إيمانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإيمان..**﴾[٤].

ولعل إمتناع أبي طالب عليه السلام عن الإنقياد الظاهري كان خوفاً على إبن أخيه،

---

(١) القرآن الكريم، سورة الكهف: ١٦.

(٢) نعمة الله الجزائري، مصدر سابق: ٦٦٥.

(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران: ٢٨.

(٤) القرآن الكريم، سورة النحل: ١٠٦.

فإنه كان يحميه وينصره ويدفع عنه كل أذى، وكان كفار قريش يمتنعون من إيذاء النبي صلى الله عليه وآله رعايةً لأبي طالب عليه السلام، لأنه زعيم قريش، وأمره عليهم نافذاً، وحمايته عندهم مقبولة لعلمهم أن أبا طالب عليه السلام على ملتهم ودينهم. ولو علموا أنه أسلم وتبع النبي صلى الله عليه وآله لقاتلوه وآذوه. ولا شك أن هذا عذر وجيه لعدم إظهار إسلامه، وأنه إنما يدفع عن النبي لأجل القرابة والحمية التي كانت مشهورة عند العرب، لا للإتباع في الدين، وقد كان في الباطن قلبه مملوءاً بتصديقه، وكان يأتي في الظاهر بألفاظ تدل على ذلك، وبألفاظ أخرى يوهم بها على الكفار أنه على دينهم، ليدفع بها عن نفسه الشبهة والتهمة من أنه متبع للنبي صلى الله عليه وآله، لينفذوا حمايته ونصرته[1].

إذن فقد عمل أبو طالب عليه السلام بالتقية التي أمر الله بها، وعمد إلى " كتمان إيمانه، [ل] أنه كان سيد قريش، وكانوا له ينقادون ولأمره يطيعون. فلما أظهر الله دينه، وإبتعث نبيه، شمر أبو طالب عليه السلام في نصرته وإظهار دعوته، وهو برسالته من المؤمنين.. وهو مع ذلك كاتم لإيمانه،لأنه لم يكن قادراً على القيام بنصرة النبي صلى الله عليه وآله من دون أهل بيته وعشيرته وأحلافه، وكانوا على منهاج قريش في الكفر، وكان أبو طالب عليه السلام لا يأمن إذا أظهر إيمانه أن تتمالأ قريش عليه، ويخذله حليفه وناصره. فكتم إيمانه إستدامةً لقريشٍ على طاعته، والإنقياد لسيادته، ليتمكن من نصر النبي، وإعزاز كلمته"[2]. وكذلك من أجل أن يحفظ أتباعه،

(١) الأنصاري، أسنى المطالب في شرح روض الطالب: ٣٥.

(٢) الحجة بن معد مصدر سابق: ٣٤٠.

فلو علم مشركوا قريش بإيمان أبي طالب عليه السلام بما أرسل من أجله إبن أخيه لسقط عن الأنظار، ولم يتمكن من الدفاع عنه ولأقدموا على قتله. وكان يكتم إيمانه أيضاً مخافةً على بني هاشم أن تنابذها قريش.

إذن، فمثل أبي طالب عليه السلام في كتم إيمانه عند الله كمثل مؤمن آل فرعون، الذي كتم إيمانه من أجل إنقاذ موسى من كيد فرعون. حيث يقول الإمام العسكري عليه السلام: "وأن أبا طالب عليه السلام كمؤمن آل فِرعون، يكتم إيمانه"[1] لا لشيء إلا لأجل حماية موسى من سلطان فرعون وقتله ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ..**﴾[2].

وكذلك فإن مثل أبي طالب عليه السلام في كتم إيمانه عند الله كمثل أصحاب الكهف الذين كتموا إيمانهم فتولى الله حمايتهم من أجل أن يبلغوا رسالاته. فقد حماهم الله من شر الحاكم الذي عزم على قتلهم، عندها أووا إلى الكهف وبقوا لما يزيد على الثلاثمائة عام ويبعثهم الله في قوم مؤمنون. فعن عبد الرحمن بن كثير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: "إن الناس يزعمون أن أبا طالب عليه السلام في ضحضاح من نار. فقال: كذبوا، ما بهذا نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله، قلت: وبما نزل؟ قال: أتى جبرائيل في بعض ما كان عليه، فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول

---

(١) عبد الحسين الأميني، مصدر سابق: ٧ : ٣٩٥؛ المجلسي، مصدر سابق ١٧ : ١٤١.

(٢) القرآن الكريم، سورة غافر: ٢٨.

لك: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين، وأن أبا طالب عليه السلام أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة، ثم قال كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرائيل ليلة مات أبو طالب عليه السلام فقال: يا محمد إخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب عليه السلام؟"[1].

وبعد أن تيقنت قريش أن أبا طالب عليه السلام لا يسلم محمداً صلى الله عليه وآله إليهم ولا يتخلى عنه، ورأت إنتشار الإسلام بين القبائل، وعدم قدرتهم على قتل محمد صلى الله عليه وآله، لجأت إلى الحصار الإقتصادي والإجتماعي، ضد أبي طالب عليه السلام والهاشميين، فقرروا ألا يبايعوا بني هاشم ولا يشاروهم، ولا يناكحوهم حتى يدفع بنو هاشم إليهم محمداً صلى الله عليه وآله فيقتلوه، أو يخلوا بينهم وبينه، أو يموتوا جوعاً وذلاً. وهذا الإجراء يرفع المسؤولية عن الفرد المحدد، فتكون مسؤولية جماعية عامة. فقد قروا هذا الرأي بعد إجتماع مشيخة قريش في دار الندوة، وكان ذلك في سنة سبع من البعثة. ودخل بنو هاشم الشعب بإستثناء أبي لهب، وإستمروا فيه إلى السنة العاشرة، وكانوا ينفقون من أموال السيدة خديجة وأبي طالب عليه السلام حتى نفدت، حتى إضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر[2]. وكان أبو طالب عليه السلام مدة

---

(١) المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام ٩: ٢٤؛ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ٤ : ٢١٢.

(٢) المجلسي، مصدر سابق ١٩: ١.

إقامتهم بالشعب يأمر النبي صلى الله عليه وآله فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شراً وغائلة، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه.. أن يضطجع على فراش المصطفى ويأمره أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها"[1].

فليس من المنطق أن يعاني أبو طالب عليه السلام فى شيخوخته الجوع بسبب تعنت قريش ثم يحابي دين قريش رافضاً رجاء إبن أخيه. فمن دون شك، إن الدافع وراء تحمل هذه الصعوبات هو الإيمان المقرون بالعمل، ودفاعاً عن النبي.

نستنتج مما تقدم، بأن مواقف أبي طالب عليه السلام المسالم عليها والتي تصب في نصرته للنبي والاسلام ودفاعه المستميت عنه، خير دليل على إيمانه، ولكنه ظل يتكتم في إيمانه أمام قريش حتى يبقي على إمكانية الحوار معهم والوساطة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وإلا لكانت قريش إستطاعت أن تحاربه علناً، وتسحب بساط الزعامة من تحت قدميه لأنه يصبح شريكاً مع النبي صلى الله عليه وآله في تسفيه أحلامهم والإستهزاء بآلهتهم. وبذلك يمكن القول إن كل الروايات التي تقول بكفره أتت من أقلام مأجورة وذمم رخيصة، وكما يقول إبن أبي الحديد:

وما ضر مجد أبي طالب ... جهول لغا أو بصير تعامى

كما لا يضر أباة الصباح ... من ظن ضوء النهار الظلاما[2].

---

(١) الأميني، مصدر سابق ٧ : ٣٦٣ .

(٢) إبن أبي الحديد المعتزلي، مصدر سابق ٣ : ٣١٧.

المبحث الرابع

الفرع الأول: أبو طالب عليه السلام ... خلق القرآن

لعله من غير المنطقي أن نتهم أبا طالب عليه السلام ذلك العبد الصالح، والذي يعد إمتداداً للسلالة الرفيعة من أجداد النبي صلى الله عليه وآله، والوارث لقيمهم، بالشرك. فقد كان يعبد الله ويوحده على الدين الذي جاء به إبراهيم، و"... كان من المتإلهين أصحاب الورع والتحرج عن القبائح"[1]، فلم يتأثر قيد أنملة بعادات الجاهلية القبيحة، فوافقت أقواله أفعاله، والتي تدل عن إسلام صحيح، وإيمان عميق.

فلو تصفحنا حياة أبي طالب عليه السلام وتتبعناه في سيرته وسلوكه قبل البعثة، لوجدناها حبلى بالخصال الحميدة التي حث عليها الإسلام وأنها تمثل الإسلام الحقيقي في سكناتها وحركاتها، والتي تدعو إلى الخير وتنبذ الشر وتدعو إلى الحق وتنبذ الباطل، مؤتمراً بأوامر الله ورسوله، وهذا يدل على إطلاعه على فحوى الرسالة. فقد كساه الله مع قلة ماله هيبةً ووقاراً، فكان حاكم قريش وسيدها، فقد رفض عبادة الأصنام، ونهى أن يستقسم بالأزلام، وعن أكل ما يذبح على

---

(١) إبن أبي الحديد المعتزلي، مصدر سابق ١: ٣٦.

النصب. فقد أحل ما أحل الله، وحرم ما حرم، وحرم الخمر والزنا ونكاح المحارم، ونهى عن وأد البنات والكبائر، ومنع أن يطوف بالبيت عريان[١]. وهو "أول من سن القسامة في دم عمرو بن علقمة فأثبتها الإسلام"[٢]. وكان يأمر أولاده بترك الظلم، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وإلى توحيد الله. وقد "... إنضووا (بنو عبد مناف وبنو زهرة) تحت لواءه، ولم يكن لهم شأن بالآلهة والأصنام ... وعند بناء الكعبة إشترط أبو طالب عليه السلام أن لا يدخل في بنائها لبنة ولا طينة إلا من كسبٍ طيبٍ، ولا ينفق عليها من كسب إمرأة بغي، ولا من ربح جاء من ربا، ومالٍ كانت فيه مظلمة لأحد من الناس"[٣].

ولو قيل بأن هذه الخصال كانت موجودة بالأساس في جزيرة العرب وإنما أتى الإسلام ليؤكد عليها، وهنالك العديد من أهل الجزيرة العربية كانوا يأتون هذه الفعال الحميدة، وليس لأبي طالب عليه السلام فخر بذلك، نقول نعم كانوا يأتون بها، ولكن كانت خصال فردية. فهناك من إتصف بالكرم كحاتم الطائي وهناك من إتصف بالشجاعة كعنترة العبسي. ولكن من كان يتصف بالكرم ربما كان يتعامل بالربا ومن كان يتصف بالشجاعة ربما كان يتعاطى الخمر. ولكن أبا طالب عليه السلام، وبإجماع المؤرخين لم يكن يأتي فعلاً من فعال الجاهلية وإنما كان جل فعاله فعالاً أمر بها الإسلام. وقد أنعكس تأثره بواقع الحياة الإسلامية والشريعة

(١) شرف الدين، شيخ الأبطح أو أبو طالب عليه السلام: ٧٣.

(٢) المحلمي، أبو طالب عليه السلام عم الرسول: ٢٤.

(٣) المصدر السابق: ١٧.

المحمدية والقرآن، على إستخدامه التراكيب والمعاني القرآنية، حيث شكل القرآن الكريم نبعاً صافياً ملهماً له.

فإن ما نظمه أبو طالب عليه السلام من شعرٍ كان معينه الذي نهل منه هو "القرآن الكريم المعجز بلفظه ومعناه وأسلوبه ... فطفق يقتبس منه وظهر في كلامه لفظاً وأسلوباً ومعاني وأغراضاً"[١]. وقد أظهر ما كان يخفي في قلبه من إعتقادات بكلامٍ على صورة لوحاتٍ شعريةٍ توحي أو تدل على ذلك المعنى المضمر، ".. وكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنه إن لم يكن آحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك وهو التصديق بمحمد صلى الله عليه وآله. ولو أن بعض الأبيات نقلت عن أي أحد من الناس لكان كافياً في الدلالة على إيمانه"[٢]. "ففي شعره دليلاً على أنه كان يعرف بنبوة النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث...مع ما شاهده من أحواله، ومنها الإستسقاء به في صغره"[٣].

فمن خلال قراءةٍ مفصلةٍ لشعر أبي طالب عليه السلام، نجد أنه كان معترفاً بوجود الخالق ووحدانيته، وأنه لا مثيل له، ولا شريك له في الملك، ومتفرد بصفات الكمال كلها، والإيمان برسله، والكتب المنزلة عليهم، وكل هذه مداليل على صحة عقيدة أبي طالب عليه السلام[٤]. فقد إقتبس في إحدى قصائده الآية الكريمة

---

(١) محمد عبده، نهج البلاغة ٤ : ٧.

(٢) الأميني، مصدر سابق ٧ : ٣٤٠ و ٣٤٢.

(٣) الخنيزي، مصدر سابق: ١٢٣؛ عبد الحسين الأميني، مصدر سابق ٧ : ٣٤١ -٣٩٨.

(٤) ديوان أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام: ٣١.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[١]:

والله لـن يـصلوا إليـك بجمعهـم ... حتـى أوسـد في الـتراب دفينـا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبـشر وقـر بـذاك منـك عيونـا
وعرضـت دينـا لا محالـة أنـه ... مـن خـير أديـأن البريـة دينـا

ويستشهد عند مخاطبته للنجاشي بما ذكر في القرآن من أنبياء سابقين وديانات قديمة كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾[٢]:

أتعلـم ملـك الحـبش أن محمـداً ... نبي كـموسى والمسيح إبن مريـم
فـلا تجعلـوا لله نـداً فأسلمـوا ... فـأن طريـق الحـق ليـس بمظلـم
وأنكـمُ تتلونـه فـي كتـابكُم ... بصدقِ حديثِ لا حديث الترجُّمِ

وقد زين أبو طالب عليه السلام، في البيتين التاليين، من تعبير التنزيل العزيز من قوله: ﴿..وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ..﴾[٣]، وقوله تعالى ﴿أَنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾[٥].

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحجر: ٩٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة الصف: ٦.

(٣) القرآن الكريم، سورة الإسراء: ١١١.

(٤) القرآن الكريم، سورة البروج: ١٣.

(٥) القرآن الكريم، سورة آل عمران: ١٨٩.

مليك الناس ليس له شريك هو الوهاب والمبدي المعيد

ومن فوق السماء له لحق ومن تحت السماء له عبيد

وهذا دليل على توحيد أبي طالب عليه السلام، حيث أشار إلى تفرد الله في الملك، وذكره عدداً من أسماء الله الحسنى، وفي ذكر الصفتين المبديء والمعيد إيماءتان إلى حقيقة الإيمان بالبعث بعد الموت. وثمة شيء آخر أفصح عن إيمانه، يوثقه شعره، وهو حقيقة العبودية لله وحده فكل ما في السماوات والأرض خاضعٍ ذليلٍ منقادٍ لصاحب الملك، وهذه من المعاني الجديدة التي لم تكن معهودة قبل الإسلام.

وكذلك يستمد أبو طالب عليه السلام في هذه الأبيات قصة أقوام ذكروا في القرآن الكريم، لم يكن أهل الجزيرة العربية على دراية وعلم بها:

أفيقوا بني غالب وأنتهوا عن الغي من بعض ذا المنطق

تكون لغيركم عبرة ورب المغارب والمشرق

كما نال من كان من قبلكم ثمود وعاد وماذا بقي

غداة أتاهم بها صرصر وناقة ذي العرش قد تستقي

فحل عليهم بها سخطه من الله في ضربة الأزرق

(الأزرق: عاقر ناقة صالح)

ويبدو أن أبا طالب عليه السلام إستقى قصته من القرآن الكريم معنىً وألفاظاً، وبالتحديد من قوله جل وعلا: ﴿**وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَىٰ * وَثَمُودَ فَمَا**

أَبْقَىٰ﴾[١]. وهنا يعلن عن إيمانه بالرسل فيذكر عاداً وثموداً والريح الصرصر وعاقر ناقة صالح، مقتبساً من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[٢]، ويقسم فيها برب المشارق والمغارب: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إنا لَقَادِرُونَ﴾[٣].

يتبين من خلال القراءة الفاحصة للغة أبي طالب عليه السلام الشعرية، من ناحية الأساليب الظاهرة في الخطاب الشعري المنسجم مع الوعظ والإرشاد، ورفد شعره بالفاظٍ ومعانٍ مستمدة من النص القرآني، أن أبا طالب عليه السلام عاش في بيتٍ تعج زواياه بعبق القرآن، فلا غرو أن يتأثر في لغة التنزيل الحكيم في شعره. فنصه الشعري قد زخر بألفاظ القرآن ومعانيه بوصفه نصاً لغوياً معجزاً يمتلك الخصائص الفنية، فضلاً عما يتمتع به من الجوانب الأخلاقية والتربوية التي أولاها أبو طالب عليه السلام عناية كبيرة، وإستثمار الأفكار التي جاء بها القرآن في شعره.

الفرع الثاني: وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ

قد يستشكل البعض على إيمان أبي طالب عليه السلام من خلال موقفه من حادثة الدار، وسلبية موقفه تجاه دعوة إبن أخيه. حيث يذكر الطبري بأنه "لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٤]، صنع النبي صلى الله عليه وآله طعاماً، ودعا له بني

(١) القرآن الكريم، سورة النجم: ٥٠-٥١.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحاقة: ٦.

(٣) القرآن الكريم، سورة المعارج: ٤٠.

(٤) القرآن الكريم، سورة الشعراء: ٢١٤.

عبد المطلب ليكلمهم، ويبلغهم ما أُمِر به، وفيهم أعمام النبي صلى الله عليه وآله: أبو طالب عليه السلام وحمزة والعباس وأبو لهب. وبعد أن أكلوا وشربوا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه؛ فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، وقال علي: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، (وكان علي أصغر الجميع سناً، شاباً لم يبلغ الخامسة عشر)"[1]، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله برقبة علي. ثم قال: إن هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم؛ فإسمعوا له وأطيعوا. وسكت القوم، ثم قالوا: يا أبا طالب! ألا ترى إبنك، قال أبو طالب عليه السلام: دعوه، فلن يألو إبن عمه خيراً"[2]. فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب عليه السلام: قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع "[3].

نقول إنه لا ضير من وجود أبي طالب عليه السلام في حديث الدار مسلماً، فبسببٍ من كونه شيخاً هرماً، فقد إعتبر نفسه غير مقصود بخطاب النبي، لأنه يرى أن بقاءه حياً إلى ما بعد وفاة النبي أمراً مستحيلاً، وبذلك فلن يتمكن من مؤازرة النبي بمستوى مؤازرة غيره، بل كان يرى نفسه عاجزاً عن ذلك بسبب ضعف

---

(١) ابن كثير، مصدر سابق ٣ : ٤٠.

(٢) الأميني، مصدر سابق ٧ : ٣٥٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٢ : ٤١؛ الحلبي، مصدر سابق ١ : ٦٢١؛ الطبري، مصدر سابق ٢ : ٦٣.

قواه وتقدمه في السن. ولعل ما ورد في وصيته تدل على ذلك، حين قال "دونكم يا معشر قريش إبن أبيكم.. كونوا له ولاة ولحزبه حماة.. والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد. ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي"[١]. والأهم من هذا وذاك هو الإبقاء على إسلامه طي الكتمان.

وسكوت أبي طالب عليه السلام عن إبنه حينما كان هو الوحيد الذي قرر مؤازرة الرسول من سائر بني هاشم، وتحمل ضحك المجتمعين وإستهزائهم به خير دليل على رضاه وإقراره بما أقدم عليه إبنه وكان قادراً على نهيه عن ذلك لأن علياً كان صغير السن وكان أبوه مسؤولاً عنه. ومن ثم فإن سكوت أبي طالب عليه السلام يعد حجة على جواز مؤازرة إبنه لإبن أخيه. فكان إقراره دليلاً يحتج به على إيمانه بما أرسل به إبن اخيه. وسكوته على إبنه لهو أبلغ وأجلى، كما قال الإمام علي عليه السلام: "إن كان في الكلام بلاغة ففي الصمت سلامة من العثار"[٢]، ذلك أن الصمت قد يكون، أبلغ من أي كلام في بعض الموارد. فمن الشائع والمتفق عليه أنه إذا سكت النبي صلى الله عليه وآله عن إنكار قول أو فعل بين يديه أو في عصره، وعلم به، ولم ينكر على فاعله، فإن كان قولاً فهو كقوله، وإن كان فعلاً فهو كفعله، لأنه لا يمكن أن يقر أحداً على خطأ أو معصية متعلقة بالشرع[٣]. ولو إفترضنا العكس،

---

(١) شرف الدين، مصدر سابق: ٣٩.

(٢) الامدي، غرر الحكم ودرر الكلم: ١٢١.

(٣) إبن حزم، الإحكام في أصول الأحكام ٤ : ٤٧١-٤٧٢.

لعنف أبو طالب عليه السلام إبنه لتجاوزه على الحاضرين وعدم إحترامه لمن هو أسن منه.

نستشف من كل ما تقدم بأن كل ما كتب وقيل عن كفر أبي طالب عليه السلام ، ما هو إلا محض إفتراء وكذب، وطعنٌ برسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه دليل على مخالفة الرسول أمر ربه، كما في قوله تعالى: ﴿**وأعرِضْ عن المشركين**﴾[1] و ﴿**لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليومِ الآخِرِ يُوادّون مَن حادَّ اللّهَ ورسولَه ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتَهم..**﴾[2]. وقد ورد "من تولى المشرك فهو مشرك"[3].

(١) القرآن الكريم، سورة الحجر: ٩٤؛ سورة الأنعام: ١٠٦.

(٢) القرآن الكريم، سورة المجادلة: ٢٢.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القران ٥ : ٢٦.

الخاتمة

إن إثبات إسلام أبي طالب عليه السلام لا يحتاج إلى كثير بيان وعناء لكثرة ما ورد تلميحاً وتصريحاً في ذلك، وذلك ظاهر معروف لا يدفعه إلا جاهل، ولا يجحده إلا بهات معاند، فلا زالت الألسن تلهج بفعاله الحميدة.

وبالرغم من كل ذلك نجد أن هناك حملة منظمة هدفها تشويه سيرته ظلماً وعدواناً بأن جعلوه يموت كافراً، معتمدين على روايات ضعيفة أو مكذوبة أو مدسوسة مبنية على التعصب والهوى المذهبي، أو لي عنق بعض الآيات القرآنية لتوظيفها في تكفير أبي طالب عليه السلام، وقد حفلت معظم كتب علمائنا على تضعيف أو تفنيد هذه الروايات أو تفسير الآيات القرآنية على غير ما حفلت به تفاسيرهم. ومن أجل تجنب الوقوع في متاهات التفاسير والروايات وتتبع رواتها وتضعيفها أو تكذيبها، آثرت أن أكتب هذا البحث الذي ينصب على الإستشهاد بآياتٍ من القرآن الكريم وإيجاد الأمثال والقرائن، من كراماتٍ منحها الله

لأنبيائه ورسله، وإيجاد ما يماثل حقيقة وواقع أبي طالب عليه السلام من قصصٍ وروايات وأمثالٍ وما منَّ الله عليه من تشابه بينه وبين رسل الله وأنبيائه من أجل إجلاء الحقائق وإثبات إيمانه، وذلك لصعوبة، بل إستحالة، أن تمتد يد التزوير والتدليس إلى كتاب الله والتلاعب بآياته وفقاً لأغراض وأهداف مذهبية أو سياسية.

وقد برهن هذا البحث على إسلام أبي طالب عليه السلام من خلال:

١-إيراد بعض الأحاديث والروايات التي تثبت بها لا يقبل الشك على تشرب نفسه بالحب الصادق، والإيمان العميق بما أنزل الله جلت آلاؤه، وتخلقه بخلق القرآن والذي أضاف إلى ما هو عليه من خلقٍ رفيعٍ.

٢-تعهده ورعايته للنبي صلى الله عليه وآله وتضحيته بالغالي والنفيس وبمكانته في قومه وبولده، وتوطين نفسه على خوض حرب في سبيل هذا الدين وديمومته، ومناصرته للنبي صلى الله عليه وآله بيده ولسانه حتى فارق الحياة.

٣-كون أبي طالب عليه السلام موحداً وعلى ملة إبراهيم بدليل الروايات التي رواها كلا الطرفين ولم يك مشركاً ومن الكافرين.

٤-إشتهاره بمكارم الأخلاق والتوحيد والتي تنطق عن إيمان مطلق بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وبما جاء به الإسلام من شرائع وأوامر وتطابق إيمانه بالقول مع الفعل.

٥-إختيار أقوال وأحاديث وإيراد بعض ما نظمه أبو طالب عليه السلام من شعر في مواقف عديدة مذهب بكلام الله، والذي فيه دلالة واضحة على إطلاعه على

القرآن الكريم.

ولعل هذا البحث الذي كتب بحق أبي طالب عليه السلام سيسكت ألسنة من تجرأ على إتهامه بالكفر طمعاً في مال أو جاه، وتصديقاً بإيمانه ودليل براءته مما إتهمه به شذاذ الآفاق من آفاك.

المصادر

١-القرآن الكريم.

٢-ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨ هـ .

٣-ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م .

٤-إبن الجوزي، شمس الدين أبي الفرج بن عبد الله أبو المظفر، تذكرة الخواص، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت.

٥-إبن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م.

٦-إبن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٠م .

٧-إبن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، د. ت.

٨-إبن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م .

٩-إبن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣ م.

١٠-إبن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

١١-الامدي، ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢ م.

١٢-الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي ، إيمان أبي طالب عليه السلام وسيرته، د. ت.

١٣-الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٤م.

١٤-الأميني، الشيخ محمد هادي، فاطمة بنت أسد، نشر مؤسسة البلاغ- بيروت، ١٩٩٠م.

١٥-الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠١٠ م .

١٦-البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.

١٧-البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير

البغوي)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

١٨-الجزائري، نعمة الله، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢ م.

١٩-الحجة بن معد، شمس الدين أبو علي فخار الموسوي، الحجة على الذاهب الى تكفير أبو طالب عليه السلام، مطبعة سيد الشهداء-قم، د. ت.

٢٠-الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد، السيرة الحلبية، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢٧هـ.

٢١-الخنيزي، عبد الله، أبو طالب عليه السلام مؤمن قريش، مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٥ م.

٢٢-الدينوري، إبن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الإمامة والسياسة، دار الأضواء، د. ت.

٢٣-الرازي، الإمام فخر الدين، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية – ببيروت، ٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ.

٢٤-الرفاعي، طالب الحسيني، عقيدة أبي طالب عليه السلام، دار الأضواء، د. ت.

٢٥-الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٤٢٦ هـ.

٢٦-الشيرازي، ناصر مكارم، قصص القرآن، مكتبة أبو ايوب الأنصاري، بغداد-العراق، ٢٠١٣ م.

٢٧-الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م.

٢٨-الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعارف- مصر، د. ت.

٢٩-القاري، علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٠-القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٦٤م .

٣١-القرطبي، يوسف بن عبد الله بن عاصم النمري، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل-بيروت، د. ت.

٣٢-اللاري، مجتبى الموسوي، اصول العقائد في الاسلام، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

٣٣-المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٨ م.

٣٤-المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري، أوائل المقالات، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م.

٣٥- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، إيمان أبي طالب عليه السلام، دار المفيد-بيروت، د.ت.

٣٦-المحلمي، محمد كامل حسن، أبو طالب عليه السلام عم الرسول، طبع ضمن سلسلة عظماء الاسلام التي يصدرها المكتب العالمي ببيروت، د. ت.

٣٧-دحلان ، احمد بن زيني الشافعي، السيرة النبوية والآثار المحمدية، دار النوادر، د. ت.

٣٨-ديوان أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام، جمعه: أبي هفان المهزمي البصري - علي بن حمزة البصري التميمي، تحقيق: الشيخ محمد حسن ال ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ٢٠٠٠ م .

٣٩-شاكر، مصطفى، التأريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، د. ت.

٤٠-شرف الدين، السيد محمد علي، شيخ الأبطح أو أبو طالب عليه السلام، دار الأرقم، صور – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤١-محمد عبده، نهج البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، د. ت.

٤٢-مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، د. ت.

فهرس المحتويات

مقدمة..... ٣

أهمية البحث..... ٥

أسئلة البحث..... ٦

المبحث الأول..... ٧

الفرع الأول: أبو طالب عليه السلام ... ومحاولات دس إيمانه في التراب..... ٧

المبحث الثاني..... ١٧

الفرع الأول: أبو طالب عليه السلام ... سليل الرسل والأنبياء..... ١٧

المبحث الثالث: ٢٣

الفرع الأول: ﴿الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ٢٣

الفرع الثاني: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾..... ٢٨

الفرع الثالث: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ٢٩

المبحث الرابع ٣٥

الفرع الأول: أبو طالب عليه السلام ... خلق القرآن ٣٥

الفرع الثاني: وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ٤٠

الخاتمة ٤٥

المصادر ٤٩

فهرس المحتويات ٥٥

ALmajmaa1435@gmail.com

مجمع الإمام الحسين عليه السلام العلمي